الفصل الحادي عشر

الحب عند الفلاسفة

عرفنا في التراث الإسلامي كثيراً من أنواع الحب .. وأشهره .. وأكثره شفافية وسمواً ..

وهو الحب العذري .. وقد رأينا كثيراً من نماذجه في الأدب العربي ..

وهو نسبة إلى بني عذرة .. القبيلة العربية التي نبغ فيها عدد من الشعراء العذريين ..

وهو حب وحرمان وشوق وحنين .. وهناك أنواع أخرى من الحب .. جاءت من وحي الشعراء الذين أمتعونا بقصائد الحب والغزل ..

وما جاء فيها من صد وجفاء .. وحب وإخلاص .. ولقاء وحرمان ..

ويقول (أرسطو) في الحب ..

الحب هو هذه القوة .. الّتي تعصف بالإنسان دون سابق إنذار .. وتدخله في عالم داخلي .. وغير منظور .. يصعب على العقل شرحها منطقياً ..

أما الفيلسوف اليوناني (يوزانياس) .. فقد قسم الحب إلى نوعين فقط .. هما أرضي وسماوي .. ومن الحب الأرضي نشأت «دبوني» .. ومن الحب السماوي نشأت (أفروديت) ..

ثم قرر بعد ذلك أن الحب الشريف يحركنا إلى ماهو شريف ..

ومنه ما يحركنا نحو إشباع اللذة الحسية ..

أما (سقراط) فيذكر من أشكال الحب .. ما يعرف بالحب الرومانتيكي ..

ويكون حباً خالصاً .. مقترناً بالآلام والحزن والقنوط .. ولا يمكن أن تكون نهايته سعيدة ..

ولا يكون موجوداً إلا في دنيا الخيال والتصور..

أما (أفلاطون) فيرى أن الروح تصل إلى الخير عن طريق الحب ..

كما أنها تصل إلى الحقيقة عن طريق الإدراك ..

ويفضل الحب الإدراك بمقدار ما يسمو الخير عن الحقيقة ..

فالحب أسمى عمل تقوم به الطبيعة الإنسانية ..

والحب الخالص بهذا المعنى هو الذي هدفه الخير..

فالحب الأفلاطوني مثالي . .

وهو الحب الذي يرقى فيه العقل فوق العالم الحسي ..

ويرتفع من عالم الروح المقيدة بالأشخاص والناس ..

إلى عالم الجمال المطلق أو عالم المثال ..

الحب الأفلاطوني .. هو حب عقل وفكر الشخص (المحبوب) .. وليس حب جسده ..

ولا تكون هناك علاقة جنسية .

أما (أريك فروم) .. فيؤكد أن جذور الحب تكمن في الحاجة إلى الإنتماء ..

وذلك أن الإنسان عندما أصبح إنسانا .. قد تمزقت لديه عرى الوحدة الحيوانية الأولية

بالطبيعة .. وأصبح على الإنسان أن يخلق علاقاته الخاصة به ..

وأكثرها تحقيقا للإشباع هي تلك القائمة على الحب ..

ويؤكد أريك فروم .. في كتابه ' فن الحب ' .. أن ماهية الحب هي الرغبة للإندماج مع

شخص آخر .. وهي أكبر توقانا لدى الإنسان ..

إنها أشد عواطفه جوهرية ..

إنها القوة التي تبقي الجنس البشري متماسكا .. وكذلك القبيلة والأسرة والمجتمع ..

والفشل في تحقيق هذا الإندماج .. يعني الجنون والدمار للذات ..

أو الدمار للآخرين ..

بدون حب ما كان يمكن للإنسانية أن توجد يوما واحدا ..

ما علاقة الحب العذري بالحب الأفلاطوني ؟

الحب العذري هو نوع من الحب الأفلاطوني ..

مثل إستغراق رابعة العدوية في حب الذات الإلهية ..

حيث يعتبر أفلاطون أن الحب الذي ليس فيه أي تبادل للمصالح أو الفوائد ..

هو الحب الحقيقي ..

و هو ما يسمى بالحب الأفلاطوني ..

و هو الحب الذي لا ينبني على شهوة أو رغبة .. وهو الحب المتسامي ..

وقد جعل أفلاطون الحب في مستويات .. أو درجات متصاعدة كالتالى ..

1- حب الشخص أو الشئ الجميل ..
2- حب ماهو أجمل فى الأشخاص أو الأشياء ..
3- حب الجمال فى المعانى .. لا فى المحسوسات ..
4- حب الجمال الإلهى ..

كما تباين مفهوم الحب لدى علماء النفس .. ومنهم سيجموند فرويد ..

الذي يري الحب حاجة نفسية تحتاج لإشباع .. وربطه بالدافع الجنسي ..

فالحب عند " فرويد " .. هو مظهر لغرائز الجنس ..

كان فرويد يرى أنه لاشيء إسمه الحب .. وإنما هو الجنس ..

وأن كل الغزل والأشعار والفنون .. ماهى إلا مقدمات للجنس ..

وقد كان وراء هذا الرأى وغيره .. موجات من الإنفجار والإنحلال الجنسى بكل أنواعه ..

ويقسم فرويد الحب إلى نوعين :

1- الحب النرجسى : وهو أن يحب الإنسان ذاته .. وكل ما يتعلق بها أو يخدمها ..

وهنا يبحث الإنسان عمن يشبه صفاته أو يحقق رغباته ..

2- الحب الموضوعى : وفيه يحب الإنسان شخصا أو شيئا خارج حدود ذاته ..

وهنا لا يتشابه المحبوب مع المحب .. بقدر ما يتكامل معه ..

وعلى غير ما ذهب إليه " فرويد " ..

فإنني لا أري أن كل السلوكيات التي تنسب إلى الإنسان ..

طفلا .. ثم مراهقا .. ثم رجلا ..

إنما هي انعكاس نابع من أعماق الشعور الجنسي ..

بل أرى .. في هذا الرأي .. أنه انحراف .. لعلاقات الحب السامية ..

وهذا ما يؤكده " أنطون مكارينكو " .. بقوله :

لا يمكن أن يكون الحب الإنساني إنعكاساً نابعاً من أعماق الشعور الجنسي الغريزي الساذج .. فالطاقات الخلاقة للحب الإنساني الحقيقي .. يمكن أن توجد خارج ميل الإنسان لإشباع رغبته الغريزية في الجنس ..

ولا شك أن ذلك يتم من خلال نقل حب الآخرين .. من الأمور الجسدية الحسية .. إلى الأمور الروحية .. المجردة ..

وعلينا أن ننظر إلى المشاعر المتمثلة في الحب الإنساني .. بتسامي .. وترفع .. عن العلاقات

الجسمية .. الجسدية .. الحيوانية ..

بل ننظر إليها .. في صورتها الجميلة .. السامية .. وفي إطار القيم الأخلاقية .. الإنسانية ..

التي ترفع من قيمة الإنسان الذاتية و الإجتماعية ..